مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)



مفهوم العولمة الدينية وعلاقتها بعالمية الدين(*)

أ.د/ عرفات أحمد مقبل حسان
أستاذ علم الأديان بجامعة الملك خالد، وجامعة تعز
الباحث/ أحمد بوطبة
باحث دكتوراه بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد

*) تاريخ تسليم البحث 2/10/2024 تاريخ قبوله للنشر 4/11/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

مفهوم العولمة الدينية وعلاقتها بعالمية الدين

أ.د/ عرفات أحمد مقبل حسان
أستاذ علم الأديان بجامعة الملك خالد، وجامعة تعز

الباحث/ أحمد بوطبة
باحث دكتوراه بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن إشـــكالية علاقة العولمة بالدين وبالتحديد علاقة العولمة الدينية بعالمية الدين، وبعد كل الدراسات الإنسانية التي حاولت حصر الدين في ظاهرة يمكن دراساتها وتطبيق كل المناهج المادية عليها، ها هي العولمة الدينية تجعله ســـلعة لا تتعدى الســـوق، ويجب على الدين أن يتكيف وفق الطلبات وإلا فهناك ما يأخذ مكانه.

وسبب اختيار الموضوع هو تبلور إشكالية علاقة العولمة بالدين، وبالضبط فكرة عالمية الدين.

وتظهر أهمية البحث في نتائجه حيث سيســلط الضــوء على أهم النقاط التي من خلالها ولجت العولمة مجال "الديني" وجعلته سلعة، وفقًا لهذا المنطلق يزاح كل مقدس وكل قيمة يطرحها الدين، ولا تصبح السلطة الأخلاقية الدينية ذات قوة لأن الناس يمكن لهم استبدالها في أية لحظة.

تدعي العولمة الدينية أن الأديان تشـــترك في الحقيقة وهذا يعني أن لا يحتكر أي دين حقيقة لذاته يتباهى بها أمام الأديان الأخرى، أو بالمعنى الأصـــح لا وجود لقانون الصـــواب والخطأ في عالم الأديان، إذ أن العولمة تؤيد التعددية الدينية التي تلغي كل حكم على أي دين أو فكرة دينية.

أما فكرة عالمية الدين فلا وجود لها على الإطلاق في حيز العولمة، مادامت كل الأديان تقتسم الحقيقة.

واعتمد البحث على المنهجين الآتيين:

أولًا: المنهج الاستقرائي: الذي سأعتمد عليه في استقراء ما أمكن من مصادر البحث أولًا، وثانيًا تحليلها وفق ما يتطلبه البحث من إسقاط معالم العولمة على عالمية الدين.

ثانيًا: المنهج النقدي التحليلي: والذي سيساعدني بعد استقراء المصادر من نقد موقف العولمة الدينية حول عالمية الدين في ظل النظرة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: العولمة، العولمة الدينية، عالمية الدين.

The Concept of Religious Globalization and Its Relationship to the Universality of Religion

Prof. Arafat Ahmed Moqbel Hassan
Professor in the Department of Creed and Contemporary Doctrines
College of Sharia and Fundamentals of Religion
King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia

Researcher Ahmed Bouttaba
PhD Student in the Department of Creed and Contemporary Doctrines
College of Sharia and Fundamentals of Religion
King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research aims to address the problem of the relationship between globalization and religion, specifically the relationship between religious globalization and the universality of religion. After numerous human studies that attempted to confine religion to a phenomenon that can be studied and subjected to material methodologies, religious globalization has now turned it into a mere commodity in the market. Religion is required to adapt to market demands, or else something else will take its place.

The reason for choosing this topic lies in the emergence of the problematic relationship between globalization and religion, specifically the idea of the universality of religion.

The importance of the research lies in its results, as it sheds light on the key points through which globalization has entered the domain of "religion" and commodified it. From this perspective, every sacred value posed by religion is undermined, and religious moral authority loses its power, as people can replace it at any moment.

Religious globalization claims that religions share in the truth, which means that no religion can exclusively claim the truth for itself or boast of it over other religions. In other words, there is no concept of right and wrong in the world of religions, as globalization promotes religious pluralism, which negates any judgment on any religion or religious idea.

As for the idea of the universality of religion, it has no place in the realm of globalization, as long as all religions share in the truth.

This research adopts two methodologies:

1. The inductive method: which I will rely on to gather as many relevant sources as possible, and then analyze them in light of how globalization’s aspects can be applied to the universality of religion.
2. The critical-analytical method: which will assist me, after surveying the sources, in critiquing the position of religious globalization regarding the universality of religion within the Islamic perspective.

Keywords: Globalization, Religious Globalization, Universality of Religion.

مقدمة البحث:

بعد كل الدراسات الإنسانية التي حاولت حصر الدين في ظاهرة يمكن دراساتها وتطبيق كل المناهج المادية عليها، ها هي العولمة الدينية تجعله سلعة لا تتعدى السوق، ويجب على الدين أن يتكيف وفق الطلبات وإلا فهناك ما يأخذ مكانه.

وفقًا لهذا المنطلق يزاح كل مقدس وكل قيمة يطرحها الدين، ولا تصبح السلطة الأخلاقية الدينية ذات قوة لأن الناس يمكن لهم استبدالها في أية لحظة.

وتدعي العولمة الدينية أن الأديان تشترك في الحقيقة وهذا يعني أن لا يحتكر أي دين حقيقة لذاته يتباهى بها أمام الأديان الأخرى، أو بالمعنى الأصح لا وجود لقانون الصواب والخطأ في عالم الأديان، إذ أن العولمة تؤيد التعددية الدينية التي تلغي كل حكم على أي دين أو فكرة دينية.

أما فكرة عالمية الدين فلا وجود لها على الإطلاق في حيز العولمة، مادامت كل الأديان تقتسم الحقيقة.

لم تصل العولمة لأفكارها الهدامة تجاه الدين وتجاه فكرة العالمية إلا بعد دراسات ضاربة في التاريخ، وتراكمات فكرية وفلسفية، أيدت كلها هدفًا واحدًا وهو إزاحة الدين من منطقة المقدس، ودحض فكرة عالمية الدين، وعليه **جاء السؤال الرئيس لهذا البحث:**

- ما علاقة العولمة الدينية بفكرة عالمية الدين؟

يتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية كالآتي:

١- ما تعريف الدين؟

٢- ما مفهوم العولمة والعولمة الدينية؟

٣- ما علاقة العولمة الدينية بعالمية الدين؟

منهج البحث:

أولًا: المنهج الاستقرائي

الذي سأعتمد عليه في استقراء ما أمكن من مصادر البحث أولًا، وثانيًا تحليلها وفق ما يتطلبه البحث من إسقاط معالم العولمة على عالمية الدين.

ثانيًا: المنهج النقدي التحليلي

والذي سيساعدني بعد استقراء المصادر من نقد موقف العولمة الدينية حول عالمية الدين في ظل النظرة الإسلامية.

وقد اقتض طبيعة البحث أن تقسم إلى ما يأتي:

المطلب الأول: مفهوم الدين

المطلب الثاني: مفهوم العولمة والعولمة الدينية

المطلب الثالث: علاقة العولمة الدينية بعالمية الدين

خاتمة: تضمنت أهم النتائج

المطلب الأول: مفهوم الدين

– لغة:

١– أصل الكلمة في اللغة العربية:

وردت كلمة (دين) في معاجم اللغة بمعان مختلفة متقاربة ومتباعدة، تباعدًا ظاهرًا، نذكر منها مثلًا ما ورد في (لسان العرب)[١] و(القاموس المحيط):

الجزاء، الإسلام، العادة، العبادة، الطاعة، الذل، الداء، الحساب، القهر، الغلبة، الاستعلاء، السلطان، الملك، الحكم، السيرة، التدبير، التوحيد، الملة، الورع، القضاء.. إلى آخره[٢].

ولكن إذا نظرنا من وراء هذا الاختلاف نجد أن هذه المعاني تجتمع حول اشتقاقات ثلاث وهي:

أولًا: فعلًا متعديًا بنفسه (دانه دينا).

ثانيًا: فعلًا متعديًا باللام (دان له).

ثالثًا: فعلًا متعديًا بالباء (دان به)[٣].

فإذا قلنا دانه دينا عنينا بذلك أنه ملكه وقهره وحكمه وساسة ودبر أمره وحاسبه وقضى في شأنه وكافأه، فالدين إذا حول هذا الاستعمال يدور حول الملك والتصرف والتدبير والحكم والقهر والمحاسبة، وإذا قلنا دان له أردنا بذلك أنه أطاعه، وخضع لأمره، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع، وكلمة "الدين لله" يصح منها كلا المعنيين: الحكم لله أو الخضوع لله، وإذا قلنا دان بالشيء كان معناه أنه اتخذه دينًا ومذهبًا، أي اعتقده أو اعتاده أو تخلق به فالدين على هذا المعنى هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريًا أو عمليًا، فالمذهب العملي لكل امرئ هو عادته وسيرته، والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتقده[٤].

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر، يخضع له، وإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعًا وانقيادًا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرًا وسلطانًا وحكمًا وإلزامًا، وإذا نظر إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها، ونستطيع أن نقول إن المادة كلها تدور على لزوم الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلزم الانقياد له[٥].

٢– **أصل الكلمة في اللغة اللاتينية** ما يقابل كلمة "دين" في اللاتينية هي كلمة **"Religion"** وقد اختلفوا حول معناها الأصلي:

---

(١) ابن منظور. لسان العرب. (١٤٦٦–١٤٦٩).

(٢) الفيروزبادي. القاموس المحيط. ط٢، ٢٦٦–٢٢٧، الزبيدي. تاج العروس. مج٩، ٢٠٧–٢٠٨.

(٣) محمد عبد الله دراز، الدين، دار القلم: الكويت، (د. ط)، (١٩٩٠م)، ص٣٠.

(٤) محمد عبد الله دراز. المرجع السابق، ص٣٠.

(٥) المرجع نفسه، ص٣١.

- هناك بعض العلماء الرومانيين[1] الذين قالوا بأنها أخذت من الأصل -leg- وتدل على الأخذ والجمع أو العدل أو الملاحظة أو قراءة الفأل والطيرة[2].

- ومنهم من رأى[3] أن أصلها الاشتقاقي هو -lig- بمعنى يربط أو يعلق بـ، ولهذا كانت كلمة Religion تعني علاقة بين ما هو إنساني وما هو فوق الإنساني[4].

- أما الباحثون الأوروبيون المعنيون بدراسة الأديان والذين اعتمدوا على الدلالة اللفظية للأصل اللاتيني للاصطلاح الأوروبي "Religion" فقد انقسموا إلى فريقين:

- فريق يرى أن هذا المصطلح مشتق من الفعل اللاتيني "Religare" بمعنى جمع أو ربط أي ربط شامل للناس ببعض الأعمال من جهة التزامهم لها وفرضها عليهم، وربط الناس ببعضهم البعض، وربط الناس بالإله ولذلك ذهب البعض إلى أن الدين هو ارتباط جماعة إنسانية بإله أو آلهة[5].

- وفريق يرى أن كلمة "Religion" ترجع أصلًا إلى الفعل اللاتيني "Religere" بمعنى العبادة المصحوبة بالرهبة والخشية والاحترام[6].

---

(١) قال (شيشرون) الروماني (٦، ١-٤٣ ق. م) بهذا الرأي، وقال أيضًا إن لفظة (Religio) مشتقة من فعل (relegere) المركب هو ذاته من السابقة (Re) التي تعني الإعادة والتكرار عندما تضاف إلى أحد الأفعال ومن فعل (Legere) التي تعني قطف أو جمع، وصار فيما بعد قرأ، وعندما تضاف إليه السابقة (Re) فيعني إعادة الجمع أو إعادة القطف أو الأخذ، وحين ينسب هذا الفعل إلى السلوك الداخلي عند الإنسان فهو يعني عودة إلى ما (تم) التفكير والتبصر والاختلاء، والانكباب بدقة وتنبه على إتمام بعض الأفعال، وقد يكون استعمال لفظة (Religio) هو للدلالة على الاجتهاد في الدرس الدقيق لبعض الأمور البالغة الأهمية والدأب على إتمامها بدقة فائقة خوفًا من إفساد فعاليتها، وكان هذا السلوك يلازم بشكل خاص طقوس العبادة التي يجب القيام بها بدقة ويقظة وفقًا للترتيبات المرسومة، ثم امتد معنى لفظة (Religio) إلى الوسواس والاهتمام الدقيق، ومن السلوك الداخلي الشخصي التي دلت عليه في البدء امتدت دلالتها فيما بعد إلى المعنى الموضوعي فصارت تعني الطقوس والواجبات والشعائر بذاتها، ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية مج١، (معهد الإنماء العربي) ط١، سنة (١٩٨٦)، ص٤٤١، نقلًا عن عجيبة، أحمد علي: دراسات في الاديان الوثنية القديمة، ص١٤.

(٢) عجيبة، أحمد علي. دراسات في الأديان الوثنية القديمة. دار الآفاق العربية: ط١، القاهرة، (٢٠٠٤م)، ص١٤.

(٣) يقول بعض الباحثين غن هذا الرأي يعود إلى بعض المؤلفين المسيحيين في القرون الأولى للمسيحية وبخاصة ترثوليانوس (١٦٠-٢٤٠م)، الذي يقول بان اللفظة مشتقة من فعل (religare) المكون من السابقة (re) ومن فعل (ligar) الذي يعني وصل، ربط، فعندما تضاف إليها السابقة (re) يعني إعادة الوصول أو الرباط، أما لفظة (religio) فتعني إعادة الربط بخاصة بين البشر والإله، وبالتالي تعلق البشر بالإله وخضوعهم له، الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، ص٤٤١، نقلًا عن عجيبة، أحمد علي: دراسات في الاديان الوثنية القديمة، ص١٤.

(٤) عجيبة، أحمد علي: المرجع نفسه، ص١٤.

(٥) الخشاب، أحمد. الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية، وتطبيقاته العملية. ط١، مكتبة القاهرة الحديثة: (١٩٧٠م)، ص٨٨.

(٦) المرجع نفسه، ص٨٩.

- **الدين في الاصطلاح**

١- من المنظور الكتابي:

أ- في قاموس الكتاب المقدس: دان، يدين، دين، ودينونة: تطلق هذه الكلمات على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم(١).

ب- في دائرة المعارف الكتابية: وجاء فيها أن كثيرًا ما تستخدم كلمتا "ديانة" و"متدين" للدلالة على المظاهر الخارجية للعبادة، والكلمة اليونانية المترجمة "ديانة" في رسالة يعقوب: "إن كان أحد فيكم يظن أنه ديّن، وهو ليس يلجم لسانه فديانته باطلة، الديانة الظاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم"، ما يفهم من هذا الاشتقاق أن الديانة هي علاقة بين المسيحي والله الآب وهي تحكمها مجموعة من الأخلاق(٢).

وأما في اليهودية فلا توجد عبارة "الديانة اليهودية" ولا توجد في الأصل اليوناني سوى كلمة "الديانة اليهودية" التي تدل على العقيدة اليهودية(٣).

٢- من المنظور الإسلامي:

أ- ما اشتهر عند العلماء: لقد جاء تعريف الدين عند علمائنا – علماء المسلمين – كما يأتي:

- "الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم"(٤)، وكذلك: "الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل"(٥).

"الدين وضع إلهي (يوحي) الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب فيه ولا صنع، ولا يصل إليه بتلق ولا تعلم" قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النَّجم: ١-٤](٦).

جاء في كتاب الدين والوحي والإسلام أن القرآن قد استعمل لفظ دين بهذا المعنى الشامل كما يدل عليه تسمية نحل المشركين أديانا في قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦](٧).

---

(١) ماكدونالد ويليم. المرجع السابق، ص٣٨٢.

(٢) القس. صموئيل حبيب وآخرون. دائرة المعارف الكتابية، ص٤٧٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٧٢.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي. التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث: (د. ط)، (د. ت)، ص١١١.

(٥) التهانوي، محمد علي. كشاف اصطلاحات الفنون. ج٢، باب الدال فصل النون، مكتبة لبنان ناشرون: لبنان، ط١، (١٩٩٦م)، ص٣٠٥.

(٦) محمد رشيد رضا. تفسير المنار. ج٢، ص٥٧.

(٧) مصطفى عبد الرزاق. الدين والوحي والإسلام. مؤسسة هنداوي: المملكة المتحدة، ط١، (٢٠١٤م)، ص٢٩.

ب- **الدين في القرآن الكريم**: استعمل القرآن لفظ الدين في المعاني المعروفة عند العرب على وفق استعمالاتهم، ومن تلك الاستعمالات الدلالة بلفظ "دين" على معنى الملة، وبديهي أن العرب كانوا يريدون به "الملة" أي ما كان معروفًا لهم من الأديان[1].

فعن الإسلام جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عِمۡرَان: ١٩].

- وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزُّمَر: ٣].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمۡرَان: ٨٥].

وقد ذكر القرآن في ثلاث آيات من آياته ما يدل على الأديان الأخرى:

- الآية الأولى: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٦٢].

- الآية الثانية: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [المائِدَة: ٦٩].

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

- وسمى ما عليه أهل الكتاب دينا في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التَّوۡبَة: ٢٩].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النِّسَاء: ١٧١].

تعليقًا على كل التعريفات:

سبب الصعوبة في تعريف الدين وحتى اختلاف تعريفه راجع إلى ما يأتي:

(١) مصطفى عبد الرزاق. المرجع السابق، ص٢٣.

١- كثرة الأديان وتعددها واختلافها اختلافًا واسعًا مما يصعب معه وضع تعريف للدين شامل لجميع أفراد النوع، فالتعريف الذي يستنبط من دين لا ينطبق بالضرورة على الأديان الأخرى.

٢- اختلاف فهم الدين وتأويله لدى أتباع الأديان.

٣- اتصال الدين بأعمق العواطف والمعتقدات التي تدفع الإنسان نحو التعمق في إطلاق المفاهيم الغامضة أحيانًا حول الدين.

المطلب الثاني: مفهوم العولمة الدينية

أولًا: مفهوم العولمة

- **لغة:**

العولمة ثلاثي مزيد، يقال: عولمة على وزن قولبة، وكلمة "العولمة" نسبة إلى العَالم - بفتح العين - أي الكون، وليس إلى العِلم - بكسر العين - والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل: مشتق من العِلم، وذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة، فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه (دحرجة) المصدر، لكن (دحرجة) رباعي منقول، أمّا (عولمة) فرباعي مخترع إن صح التعبير وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب، والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها(١).

وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم وأصبحت الكلمة دارجة على ألسنة الكتاب والمفكرين في أنحاء الوطن العربي(٢).

وتعني العولمة في اللغة العربية اسم مصدر على وزن (فوعله)، مشتق من كلمة العالم نحو القولبة المشتقة من قالب وتنبئ هذه الصيغة عن وجود فاعل يقوم بالفعل، إذا كانت القولبة تعني جعل الشيء قالب فإن العولمة تعني جعل النشاطات الإنسانية في نطاق عالمي(٣).

- **اصطلاحًا:**

تعددت المفاهيم والإطلاقات لمصطلح العولمة، الأمر الذي يجعل الأخذ بمفهوم واحد صعبًا، فهي تتعرف وتفعم بتنوع ميادينها، فهناك عولمة ثقافية وعولمة سياسية وعولمة اقتصادية وعولمة دينية.

لكنني حاولت جمع بعض مفاهيمها على النحو الذي رأيت بأنه يخدم موضوع البحث وحتى لا أتشعب كثيرًا وأخرج القارئ من صلب الدراسة.

- انتشر مصطلح العولمة في الفترة الأخيرة وتقوم فكرتها الأساسية على العلاقات بين الأمم من الجانب الاقتصادي وفي سرعة انتشار المعلومات ومدى تأثيرها على الأمم والشعوب واستخدامها كمصدر قوة للدول الكبرى كما هو الحال في هيمنة العولمة الأمريكية أي أمركة العالم(٤).

---

(١) أنظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة: "علم". مكتبة الشروق الدولية: جمهورية مصر العربية، ط٤، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص٦٢٤.

(٢) الجابري، محمد عابد. العرب والعولمة. مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، (١٩٩٨م)، ص١٣٥.

(٣) الدجاني، أحمد صديقي. العرب والعولمة. مركز الدراسات الوحدة العربية: بيروت، لبنان، ط٣، (٢٠٠٠)، ص٦٣.

(٤) بلعباس يمينة، سمية محمدي.العولمة وأثرها على الهوية الثقافية، عبد الوهاب المسيري أنموذجا. رسالة ماجستير، (٢٠١٩م)، ص١٣.

- ارتبط تعريف العولمة بالتطورات الحاصلة في مختلف مجالات الحياة منها الفكرية والاقتصادية والتكنولوجية، وهذا مما ساعد في توطيد العلاقات بين الدول والشعوب ونتج عنه زيادة الوعي في تكوين عالم بلا حدود وإزالة فكرة العزلة والتقوقع(١)، العولمة هي إعطاء صيغة واحدة للعالم في أي مجال من المجالات وذلك من خلال تطبيق مجموعة من الأنشطة السياسية والاقتصادية والتكنولوجية كإزالة الحواجز الجمركية بين الدول(٢).
- عرفها البعض: "بأنها فرض الثقافة الغربية عن طريق المنظمات والمؤتمرات الدولية ووسائل الإعلام المختلفة"(٣).
- ويعرفها رونارد روبرتسون(٤): "تشير العولمة كمفهوم إلى ضغط العالم وتصغيره من ناحية، وتركيز الوعي به ككل من ناحية أخرى، وإذا كانت العمليات والأعمال التي يشير إليها المفهوم راهنا تنسحب إلى قرون خلت، مع وجود بعض المعوقات، فإن التركيز الأساسي في مناقشة العولمة يقع على العصور الحديثة وطبيعتها، فإن العولمة تشير بوضوح إلى التطورات التي حدثت مؤخرًا"(٥).
- ويرى خزعل الماجدي(٦) أن العولمة ظهرت شكلًا من أشكال ما بعد الحداثة، التي بدأت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م)، ووضحت معالمها الاقتصادية بشكل خاص بعد سقوط الاتحاد السوفييتي والعالم الاشتراكي، بدءًا من نهاية عام (١٩٩١م)، وإذا كان الجانب الاقتصادي من العولمة قد درس كثيرًا، وهو الجانب الأكبر، لكن الجانب الثقافي وتأثيرات العولمة على الأديان ما زالت قليلة، والعولمة، على صعيد الإصلاح، تستخدم المصطلحات الآتية التي تتداخل فيما بينها لتدل على العولمة(٧).

---

(١) أبو العلا، محمد حسين. ديكتاتورية العولمة. مكتبة مدلولي: القاهرة مصر، (د. ط)، (٢٠٠٤)، ص٣٤.

(٢) الفتلاوي، سهيل حسن. العولمة وأثرها على الوطن العربي. دار الثقافة: عمان الأردن، (د. ط)، (٢٠٠٩)، ص٤٠.

(٣) الريس، إبراهيم بن حماد، وآخرون، (أعضاء هيئة تدريس بجامعة الملك سعود)، المدخل إلى الثقافة الإسلامية. مدار الوطن للنشر: ط٦، مقرر جامعي المملكة العربية السعودية (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص٢٧.

(٤) رونالد روبرتسون. سوسيولوجي أمريكي، يعمل أستاذًا لعلم الاجتماع بإحدى جامعاتها، وتتركز اهتماماته في دراسة قضايا التنمية والتحديث والعلاقات الدولية والنظرية، والدين، والثقافة، والعولمة، أنظر مقدمة كتاب: العولمة النظرية الاجتماعية والثقافية الكونية: رونالد روبرتسون، ترجمة: أحمد محمود نور أمين، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م، ص٤.

(٥) روبرتسون، رونالد. العولمة النظرية الاجتماعية والثقافية الكونية. ترجمة: أحمد محمود، نور أمين، المجلس الأعلى للثقافة: (١٩٩٨م)، ص٢٧.

(٦) خزعل الماجدي. أكاديمي وباحث في علوم وتاريخ الأديان والحضارات والأساطير. كاتب مسرحي وشاعر، حاصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم من معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا عام (١٩٩٦)، عمل في الإذاعة والتلفزيون والمجلات والصحف العراقية واتحاد الأدباء والكتاب ودائرة السينما والمسرح بين الأعوام (١٩٧٣–١٩٩٨) ثم عمل أستاذًا جامعيًا في جامعة درنة في ليبيا (١٩٩٨ – ٢٠٠٣)، وفي هولندا، حاضر في جامعة لايدن وعمل في عدد من الجامعات العربية المفتوحة في أوربا، أصدر (١٠٧) من الكتب، وترجمت له كتب ونصوصٌ باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، والرومانية، والفارسية، والكردية، تناولت كتبه حقول الحضارات والأديان والميثولوجيا، كتب في الاستشراق وتاريخ الفن والأدب، ينظر: موقع العرب: https://alarab-co.

(٧) الماجدي، خزعل. علم الأديان تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله. مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع: المملكة المغربية، الرباط، ط١، (٢٠١٦م)، ص٥٢٧.

ثم يقترح تقسيمات ثلاثًا للعولمة كما يأتي:

١- العولمية (Globality) وهي أولى مراحل العولمة، حيث تظهر العولمة في مركزها الأمريكي الأوربي، وهي تشكل مخططاتها وأفكارها للهيمنة على العالم، وقد ظهرت خلال الحرب الباردة.

٢- العولمة أو التعولم: (Globalization) وهي مرحلة الفعاليات (Processes)، وتنفيذ الإجراءات، وهي عملية تحول حاسم وطويل نسبيًا من خلال فرض عملي لآليات العولمة، وقد بدأت بعد انتهاء الحرب الباردة، وما زالت تهتم بنشر العولمة خارج مركزها الأمريكي الأوربي.

٣- العولمة (Globalism): وهي المرحلة التي يرى أصحاب العولمة أنها تشير إلى وضع تصبح فيه البشرية مشتركة في قيم واحدة من حيث التعامل مع شؤون البيئة، ومن حيث أدوار الأفراد كمواطنين، وكمنتجين ومستهلكين، مع وجود رغبة مشتركة في حل المشكلات المشتركة، ونرى أنها تشير إلى اكتمال المنظومة الإيديولوجية للعولمة بعد حصاد نتائجها، وقد تشير إلى العولمة في مراحلها كافة[١].

خلاصة التعريفات:

تمحورت تعريفات العولمة حول هذه النقاط:

- ربط العلاقات بين الأمم من الجانب الاقتصادي وسرعة انتشار المعلومات وتأثيرها على الأمم والشعوب.
- إزالة فكرة العزلة والتقوقع.
- فرض الثقافة الغربية.
- ضغط العالم وتصغيره.

ثانيًا: مفهوم العولمة الدينية مركبا

من الأمور التي لفتت انتباهي في بحثي حول هذا المفهوم أن أغلبية الذين اشتغلوا حول مفهوم العولمة أهملوا تعريف العولمة الدينية، إلا القلة القليلة منهم، وحيث ركزوا على مجالها الاقتصادي والسياسي والثقافي وكذا الاجتماعي، لذلك وجدت صعوبة في جمع بعض الأفكار حول العولمة الدينية.

وانطلاقًا مما سبق من تعريف الدين وتعريف العولمة يتجلى لنا مفهوم العولمة الدينية:

فقد عرفها محمد عمارة: "بأنها محاولة تنصير المسلمين طموحًا إلى إلغاء أمتنا وحضارتنا، وطي صفحة الإسلام من سجل الوجود.."[٢]، حيث ركز محمد عمارة في تعريفه هذا على حصر العولمة الدينية في إطار الهجوم على الإسلام ومحاولة طيه كما قال، الأمر الذي يدفعنا بالقول بأن العولمة الدينية هي مجرد فكرة لمواجهة العالمية الإسلامية بحسب قوله، ويري صاحب محمد محمد ميرا[٣] أن العولمة تجعل من الدين منتجًا بشريًا يعرض في سوق الأديان، وعليه أن يقنع بحكم المستهلك، الذي قد يقبله أو يرفضه، وفي حال الرفض فإن على هذا الدين أو ذاك

---

(١) المرجع نفسه، ص٥٢٧-٥٢٨.

(٢) عمارة محمد. بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية. مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع: ط١، القاهرة، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص٥٤.

(٣) دين محمد محمد ميرا صاحب. باحث وعضو هيئة التدريس بجامعة قطر تخصص الدراسات الإسلامية ومقارنة الأديان.

التكيف حسب ما أمر به المستهلك وما تطلبه سوق الأديان[1]، وكأن العولمة الدينية في نظر صاحب ميرا تروم من الدين أن يكون سلعة في السوق كباقي المنتجات في الفكر المادي، وعلى الدين أن يسوق لتعاليمه حسب متطلبات السوق.

ويرى أحد الباحثين أن العولمة مظهر اقتصادي يلقي بظلاله على الثقافات الخاصة، ومنها الأديان لكل بلد يدخله، حيث تطال الكثير منه وتعمل على تبديله لصالحها[2]، إذا فالعولمة الدينية هي في نظر فريدمان مجرد عمل اقتصادي للعولمة حيث تجعل من الدين هدفًا كأي من أهدافها ضمن البوتقة الاقتصادية، وبالتالي تبدله حسب متطلباتها.

ويرى آخر أن الديانات عبارة عن أنظمة رمزية تسير عبر طرق معقدة بين الحضارات حيث تقابل أحيانًا بحواجز لا يمكن اجتيازها[3]، نلاحظ في هذا الطرح لبرودويل أنه يعتبر الأديان كقالب واحد يمكن أن تتغير بحسب ما تقابله من حواجز وتأثيرات في الواقع، وهذا تأكيد على أن البعض يرى بأن الدين لا بد أن يتماشى والعولمة ومتطلباتها.

المطلب الثالث: علاقة العولمة الدينية بعالمية الدين

وتأسيسًا على مفهوم الدين وعالمية الدين ومفهوم العولمة الدينية، وكل ما ذكرته حول تأثير العولمة على الدين يمكنني توضيح العلاقة بينهما من هذه المنطلقات الثلاث التأسيسية بالترتيب كما يأتي:

أولًا: إعادة النظر في مفهوم الدين

وتحت هذا نجد العديد من الذين اشتغلوا في مجال العولمة والدين يطرحون عدة رؤى حول تغيير مفهوم الدين سأحاول ضرب أمثلة على ذلك فيما يأتي:

١- مفاهيم جديدة حول الدين

يطرح الباحث ميرا صاحب مفاهيم جديدة ناتجة عن العولمة الدينية وهي كالآتي:

- ظهور مصطلحات السوق في عالم الأديان والشركات متعددة الجنسيات، وشركات الاستثمار .
- رفض المقدس في الأديان.
- هدم منطق الثوابت والمتغيرات.
- علمنة الدين وخصخصته.
- فرض المنظور التعددي.
- فرض رؤية ما بعد الحداثة ومناهجها.
- هدم الهويات الدينية[4].

---

(١) ينظر: صاحب محمد محمد ميرا. تأثير العولمة على دراسة الدين- تحليل وتقييم. مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلة علمية محكمة، ع٢٥، (٢٠٠٧)، ص١٠٥.

(٢) حاتم، محمد عبد القادر. العولمة ما لها، وما عليها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (٢٠٠٥م)، ص٤٦٥ بتصرف.

(٣) ليكلرك، جيرار. العولمة الثقافية الحضارات على المحك. ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة: بيروت، ط١، (٢٠٠٤م)، ٤١-٤٢.

(٤) صاحب محمد محمد ميرا. المرجع السابق، ص١٠٥.

٢- ربط مفهوم الدين بمتطلبات السوق العولمية:

وفي مجال ظهور مصـــطلحات الســـوق في عالم الأديان، يرى الباحث ميرا صـــاحب أن هناك مجموعة من المصطلحات الجديدة، التي تجمع بين السوق والأديان، قد ظهرت في الكتابات المعاصرة، في تأثير العولمة الطاغي على الدراسات الدينية المعاصرة، أو على التناول المعاصر للدين:

- سوبر ماركت الأديان: (Religious Supermarket).
- خصخصة الديني: (Privatizing religions).
- تصدير الدين: (Exporting religions).
- إنتاج الدين: (Producing religions).
- تسويق الدين: (Marketing Religions).
- استهلاك الدين: (Consumerism religions).
- الاستهلاكية الدينية: (religions Consuming).
- مكدونالية الدين: (Mcdonaldization of religion).
- التحكم في سوق الأديان: (Controlling religions Market).
- تغيير المنتج الديني: (Changing religions product)[١].

لكن الغارة العولمية على الأديان لزمها نسيان الأصول، وهجر الجذور، إذا كانت لا تساعد على التوافق مع مقتضيات التكيف للسوق، ورغبات المستهلك، والمستهلك يريد دينًا منفتحًا على العالم، يحتضن كل البشر، ولا يفرض على أحد منهم منهجًا معينًا، يحترم حريتهم، وتنوع اختياراتهم داخل الدين الواحد مهما كان هذا الاختيار مصطدمًا مع الأصول، ومتناقضًا مع القواعد، ويعاملهم جميعًا بالمثل، ويساوي بينهم في النظر، ويعدل بينهم في المعاملة، ويمنحهم جميعًا الحقوق نفسها، وليس هناك صورة دينية واحدة تقرب الإنسان من الخلاص، أو الحقيقة دون أخرى[٢].

هكذا، أصبحت الحياة استهلاكية في ظل العولمة، وأصبح الدين، أيضًا، ضمن حاجات الاستهلاك، فبعد أن كانت الحياة بحثًا عن المعنى، الذي يساعد على بلوغ الخلاص والسعادة الدائمة، من خلال السلوك الخلقي، والسمو الروحي، الذي ينبغي أن يغطيا كل حركات الإنسان في جميع مجالات الحياة، أصبحت الآن محصورة في المتعة الاستهلاكية، وكما عبر أحد الاجتماعيين المعاصرين: إن الاستهلاكية تشكل الإيديولوجية الفعالة، التي ترى أن معنى الحياة يكمن في شراء الأشياء وتجارب العروض الجديدة، ويقول: إن الاستهلاكية -كإيديولوجية المستقبل- لن تجد المعنى في الأمور التي اعتبرت إلى الآن، مقدّسة، إنما في تلك الأشياء الدنيوية، والسعي نحو الإشباع الشخصي، فيصبح الدين -كما يرى آخر- «مختزلًا فيما يقدمه للفرد في هذه الحياة، وليس في الحياة

(١) المرجع نفسه، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٦-١٠٧.

الأخرى، وهذا هو قمة الخصخصة للدين فهمًا واعتناقًا وتطبيقًا، لقد ظهرت في أدبيات الغرب الدينية المعاصرة مصطلحات تعبر عن هذه (الاستهلاكية) بصورة واضحة من أبرزها مصطلح (Mcdonaldization)، الذي ابتدعه العالم الاجتماعي جورج ريتزر (George Ritzer) في (١٩٩٣م)، الذي يعني عندما يطبق على الدين، تعبيرًا عقلانيًا عن الدين، وتأكيدًا لتجربة روحية فردية ذاتية، كما يقول ستيفن هونت، وكذلك مصطلح (Desneyization)، الذي ابتدعه بري مان[١] (man) في (١٩٩٥م)، الذي يعني في المجال الديني: إزالة الفوارق الثقافية، وخلق حالة من السطحية، وجعل القضايا المتعلقة بالحقيقة وكيفية تصورها لعبة، وكلا هذين المصطلحين يفسر لنا لماذا سهل إطلاق مصطلح (البضاعة) على الدين، ويلخص لنا حقيقة المنظور الذي ينظر به إلى الدين في عصر الاستهلاكية[٢].

ولا شك في أن العولمة ستهدد الهويات الدينية الجماعية والاجتماعية، وسيكون هناك الحق للأفراد بالانسلاخ عنها، واختيار ما يناسبهم، وستفرض نزعة العولمة الاستهلاكية ذلك على الناس، حيث ستعتبر الدين حاجات استهلاكية يجب أن تناسب مذاق الفرد وحاجته، يقول العالم الاجتماعي المعاصر ستيفن هونت: (إن الأسواق الروحية تشجع الناس على البحث والاختيار، حتى يجدوا هوية دينية تناسب تجربتهم الفردية، وليس الجماعية، إنها حرية للبحث عن عقيدة دينية تعكس الفهم الاجتماعي، وتقويه وتعطيه تعبيرًا رمزيًا، ومن هنا، فإن المحيط الديني المعاصر يسمح للأفراد بحرية اكتشاف حقائقهم الروحية الخاصة وفق ما يهمهم في حياتهم، ويوفر لهم وسائل تعينهم على خلق شخصية جديدة، فالدين في نظر ما بعد الحداثة، يساعد على بناء هوية، واختيار نمط معين للحياة، كعمل ذاتي يجعل الفرد يكون كما يرغب أن يكون)، فعندما تسود هذه النظرة إلى الدين، فلن يكون هناك مكان للهويات الدينية الجماعية والاجتماعية، وهذا تحد آخر يفرض نفسه أمام الباحثين في الأديان، فهل ذهبت عصور المجتمعات الدينية وأصبحنا في عصر الفردانية الدينية، حيث يختار كل فرد صورة معينة يرضى بها لحياته الدينية إن أراد أن يكون متدينًا، دون أن يكون هناك اتفاق عام على أدنى معايير؟[٣].

لا شك في أن الكثير من هذه التحديات أمر واقع، ولا شك في أن الأديان لا تملك الأسلحة المتكافئة للتحدي، ولذلك يبدو الأمر رهن الزمن القادم، على الرغم من أننا نميل إلى أن المجتمعات قد تميل إلى الانكماش زمنًا ما، لكنها ستنفجر يومًا، وتنفتح كليًا أمام أمواج العولمة، قد تكون أوجه الاختلاف بين الجماعات المتعددة، المسماة الحركات الدينية الجديدة أهم بكثير من أوجه التشابه الموجودة بينها، ومن ثمَّ لن يفيدنا أن نكدّس تلك الجماعات كلها، ونضعها تحت المصطلح الواحد نفسه ألا وهو الحركات الدينية الجديدة)، يعالج هذا المصطلح، بإيجاز، أيضًا، العناصر المهمة الأخرى الخاصة بعدد من هذه الجماعات المسماة بالحركات الدينية الجديدة، فإذا

---

(١) آلان بريمان (١٩٤٧–٢٠١٧) كان أستاذًا للأبحاث التنظيمية والاجتماعية في جامعة ليستر، وقبل ذلك أمضى برايمان (٣١) عامًا في جامعة لوبورو، ينظر: ويكيبيديا: https://en.m.wikipedia.org/wiki/Alan_Bryman.

(٢) الماجدي، خزعل. المرجع السابق، ص٥٣٤.

(٣) صاحب محمد محمد ميرا. المرجع السابق، ص١١٣.

أخذنا بصفة خاصة القليل من الأمثلة النموذجية للحركات الدينية الجديدة مثل جماعات كنيسة التوحيد الهاري كريشنا والسوكاجاكاي، فسنجد أن الشيء الوحيد المشترك بين هذه الجماعات لا يتمثل في كونها جديدة فحسب؛ بل يتمثل، أيضًا، في جذورها المشتركة الخاصة بكل من العولمة، وتخطي الحدود القومية[١].

ويرى أحد الباحثين أن غاية العولمة حمل المجتمع الدولي على اعتناق دين واحد وواحد فقط، يتلخص في اللهث وراء عالم المال والأعمال، وهي تبذل النفيس والرخيص ليبتعد المؤمنون على أديانهم ويتخلوا على قيم المسيح عليه السلام، ويتنكبوا هدى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وينسوا كل ما يقربهم من الله تعالى.. وتنصب اهتماماتهم على عبادة الاورو والدولار ومشتقاتهما فقط، وبالتالي فالدين الأوحد للعولمة، هو إعلانه القطيعة التامة مع عالم القيم الخلقية والدينية وهل يوجد عدوان أشد خطرًا وفتكًا على الإنسان، كالعدوان على تجريده من هويته الدينية التي تدعو إلى التآخي والتعاون والتآلف بين الناس، لكن دين العولمة – إذا كان لها دين أصلًا هو اللادين، وهو في تصورنا جاهلية جديدة في هذا العصر، ودعوة للإفلاس القيمي للبشرية والزج بها في أسر السعار المادي، والغرائز، وكل ما يبعدها عن السعادة والتوازن ويبعدها عن الإيمان الصادق بالله والاستقامة على شرائعه[٢].

٣- تصدير الأديان وليس عالميتها:

وفي فكرة تصدير الدين التي ظهرت عند أوليفييه روا[٣] حيث يقول بأن: "للأديان السائرة جميعها صيغة للتصدير، إنها قائمة على الفصل التام بين المِعْلَم الديني والمعلم الثقافي وعلى مشاكلة تتيح لها الظهور بحق كدين عالمي مطابق لأشكال التدين الجديدة، مثل موضوع تحقيق الذات"[٤]، حيث يرى بأنه لا ضرر من تسويق الدين والإعلان له مادام منفصلًا عن الثقافة، وهو بذلك يستبعد كل فكرة عن مصدرية عموم الدين من النصوص الدينية، إذ يقر بأحقيتها في الظهور العالمي كنوع من التنافس السوقي لا غير.

ثم يستطرد بقوله: "وهذا لا يعني أنها تطرح المعلم الثقافي جانبًا، بل يمكنها على العكس أن تبدي بعض المعالم الثقافية كمنتجات استدعاء، لكنها مفصولة عن كل مجتمع حقيقي، من ضمن سياق تعتبر فيه إغرابية معينة كعنصر إيجابي، تقريبًا مثل الدعاية التي تقوم على معالم عائمة: الإغرابية والتأمركية (أسماء إنكليزية لتشكيلة واسعة من المنتجات والاتصال الدائم المفترض، ويعمل الثوب الزعفراني الذي يرتديه أتباع هار – كريشنا أو الشلوار قميص أبيض طويل وبنطلون منتفخ الخاص بالأصوليين كمرجعي دلالة وهمي، ولا يعني التقهقر الثقافي التخلي عن

---

(١) ناي، مالوري. الدين الأسس ترجمة هند عبد الستار مراجعة جبور سمعان. الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت، (٢٠٠٣م)، ص٣٣٥.

(٢) دحماني، الطاهر. خطر العولمة الدينية على المجتمعات الإسلامية. عولمة الإسلام أم أسلمة العولمة؟ مقال منشور، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ٨(٠١)، (٢٠٢٠م)، ص٥، بتصرف يسير.

(٣) أوليفييه روًا Olivier Roy: ولد في (٣٠) أغسطس (١٩٤٩) في لاروشيل، هو عالم سياسي فرنسي، وأستاذ في معهد الجامعة الأوروبية في فلورنسا، إيطاليا، نشر مقالات وكتب عن العلمنة والإسلام من بينها "الإسلام العالمي"، وفشل الإسلام السياسي، يشتهر "بنظرته المختلفة للإسلام الراديكالي" عن بعض الخبراء الآخرين، ويكيبيديا: https://en.m.wikipedia.org/wiki/Alan_Bryman.

(٤) روا، أوليفييه. الجهل المقدس، زمن دين بلا ثقافة. ترجمة: صالح الأشمر، دار الساقي: بيروت، لبنان، ط١، (٢٠١٢م)، ص٢٦٤.

المعالم الثقافية، بل استعمالهما خارج كل حقيقة اجتماعية، كما أن توكيد الاستقلالية الذاتية لجماعة الإيمان لا يستقيم من دون شيء من الإظهارية، مثل ارتداء الحجاب، على أن هذا لا يعني أن كل علامة دينية هي علامة إظهارية بل تفسر كذلك، إن وضوح الرؤية هو خاصية الديني المعاصر"[1]، في كلامه هذا دليلًا واضح المعالم على أنه يرى في الدين (العالمي) نوع من أنواع السلع العالمية التي تسوق بطرق تجعلها متطلبة عالميًا وهي في نفس الوقت تتنافس فيما بينها وما هذه الإجراءات التي ذكرها إلا طرق تسويق لا غير:

- المعالم الثقافية منتجات استدعاء.
- الدعاية التي تقوم على معالم عائمة.
- تشكيلة واسعة من المنتجات والاتصال الدائم المفترض.
- علامة دينية هي علامة إظهارية.

ثانيًا: الدين الوظيفي (البراغماتي)

تأسيسًا على إعادة مفهوم الدين في مجال العولمة وربطه بسوق الطلبات، يتكون ما يسمى بالدين الوظيفي أو البراغماتي وكلاهما يعبر عن الدين ذو الفائدة الملموسة وليس فقط ذو التجربة الفردية المعبر عن القداسة والتعالي الميتافيزيقي كما سأوضح فيما يأتي من مفهوم البراغماتية أولًا ثم بتبيين آثارها على مفهوم الدين:

١–مفهوم البراغماتية:

- **لغة:**

البراغماتية مشتقة من اللفظ اليوناني "pragma"، ومعناه العمل[2].

- **اصطلاحًا:**

البراغماتية مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية[3]، ونلاحظ في هذا التعريف النقاط الآتية:

١– هذا المذهب لا يقتنع إلا بالتجربة فهو يبعد أي معرفة مسبقة وبالتالي يستبعد الوحي والتجربة الدينية.

٢– يزيح أي فكرة لا فائدة منها ومعنى ذلك أنه يزيح أي فكرة آجلة والحديث هنا عن الجزاء والجنة فهي بعيدة المنال ولا تحقق بالتجربة الآنية.

– أثار البراغماتية على مفهوم الدين العالمي:

أثرت البراغماتية على الدين العالمي بأنها أزاحت مفهوم العالمية لدين واحد لأنها ترى بأن الدين يكون عامًا وشاملًا إذا حقق وظيفة أو منفعة للبشرية وليس فقط مجرد طقوس وشرائع وعقائد.

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٦٤.

(٢) صليبا، جميل. المرجع السابق، ص٢٠٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٠٣–٢٠٤.

عند الحديث عن البراغماتية سنجد أن مفهوم الدين في البراغماتية يختلف عن مفهوم الدين الذي جاءت به الرسالات السماوية، فالبراغماتية تتحدث عن الدين لا على أساس أنه حق يجب الإيمان به بل على أساس أنه جانب من جوانب النفس الإنسانية يمثل أحد رغباتها الهامة التي يجب أن تشبع عن طريق الاعتقاد(١)، أي يدخل الدين ضمن فكرة الفائدة الذي ذكرناها آنفا، فإذا كان هذا الأخير يحقق فائدة لصاحبه فالبراغماتية تحتضنه.

وسنعرض بإيجاز لرؤى أهم مؤسسي البراغماتية الدينية:

أ- الدين عند "بيرس"(٢):

لقد تحدث "بيرس" عن الدين لكن بصورة عرضية وذلك لأنه كان منطقيًا وغرضه البحث العلمي، فإذا سألنا "بيرس" هل الله موجود؟ يجيب بالإيجاب، بل إنه الشيء الضروري والخالق الحقيقي، ثم يصف الله بالعلم والقدرة والإرادة... ولكنه يردف ذلك قائلًا بقوله: إن هذا كله ثرثرة لا معنى لها، الحق أن الدين ينبع من القلب لا من الرؤى، أنظر إلى السماء ونجومها وتأمل حركتها فلابد أنك قائل بوجوب علة كاملة لهذا الكون العظيم.

وعلى هذا الأساس فإن "بيرس" يرى لهذا الكون مبدعًا ومنظمًا، لأن في الكون نظامًا(٣)، طبعًا، كلامه يوافق النظرة البراغماتية التي تعلل لكل فكرة بالفائدة.

ب- الدين عند "جيمس"(٤):

لقد حصر "جيمس" اهتمامه في الديانة الشخصية وحددها بأنها اعتقاد الفرد بعالم أوسع خفي له أثره الفعال عليه في حياته الراهنة، وإذا كان الدين عنده أمر شخصي في جوهره، لهذا اعتبر الدين تجربة، وهو يساعده على حل مشكلاته حلًا صحيحًا، فيشعر بالسلام والراحة والطمأنينة، ويقوده إلى الموجود الأعظم، يقول "جيمس":

---

(١) حكمي، أحلام أحمد. البراجماتية دراسة تحليلية نقدية. مقال منشور في مجلة حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفي، مصر، ع٣٦، (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص٢٧.

(٢) تشارلز بيرس. ولد الفيلسوف الأمريكي تشارلز بيرس في كامبردج في ١٠ سبتمبر سنة (١٨٣٩)، وكان والده، بنيامين بيرس، أستاذًا جامعيًا وقطبًا في علم الفلك والرياضيات بجامعة هارفارد، وفيها درس تشارلز وتحصّل على الماجستير في الرياضيات والباكالوريوس في العلوم الكيميائيّة، وإثر تخرّجه، اشتغل في إدارة مسح الأراضي والمسح الساحلي الأمريكية، وفيها تقلّب في عدد من المناصب بين سنتي (١٨٦١ و١٨٩١)، وضمنت له هذه الوظيفة الإعفاء من التجنيد في جيش الاتحاد خلال الحرب الأهلية (١٨٦١-١٨٦٥)، هذا فضلًا عن كونه، وجد متّسعًا من الوقت لمتابعة أبحاثه، التي اتّخذت وجهة فلسفيّة تحت تأثير اطّلاعه على كتابات شيلّر (Shiller) وكانط (Kant) وفرض نفسه من هذه الناحية، وهو ما أهّله ليدرّس الفلسفة في جامعة هارفارد، والمنطق في جامعة جون هوبكنز، والمشاركة في تحرير عدد من المجلاّت المختصّة، ينظر: موقع: مؤمنون بلا حدود: https://www.mominoun.com/articles/

(٣) زيدان، محمود. البراجماتيزم عند وليم جيمس. رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة القاهرة، عام (١٩٥٦م)، ص٨١.

(٤) وليم جيمس. عالم النفس والفيلسوف الأمريكي. ولد في ١١ يناير سنة (١٨٤٢) في نيويورك، وقد عُدّ واحدًا من أبرز دعاة الذرائعيّة ومؤسّسيها بالولايات المتّحدة الأمريكيّة، إلى جانب بيرس وجون ديوي، ينظر: موقع: مؤمنون بلا حدود: https://www.mominoun.com/articles/

وأما في حياتنا اليومية فلكل منا أن يعتبر عقيدته ومذهبه وفكرته صـــحيحة بالنســـبة إليه، إذا ما مكنته من حل مشكلاته اليومية حلًا شريفا[١]، نلاحظ أن الدين عنده ما أحدث لصاحبه فائدة من راحة نفسية وشعور بالنجاح وحل المشاكل إلى غير ذلك وبالتالي يدخل ضمن فكرة البراغماتية الأولى، وليس هذا فقط، بل يقر بتعدد الاديان إذا كانت تحقق الغاية ذاتها.

ج- الدين عند "ديوي"[٢]:

نظر إلى الدين على أنه تجريبي تمامًا، فالدين عنده دين إنساني، دين طبيعي، ليس دينًا إلهيًا، فهو يرى أن كل دين هو تعبير عن عادات ومواقف عقلية، لأي شعب وشعائره وعباداته والتي تتبلور جميعها في الاعتراف بالألوهية وبقداستها، وبما يعنيه ذلك من مغزى في صدور العلاقات التي تزخر بها هذه الحياة[٣].

ويرى أن الدين الحق هو الذي يرتكز أسـاسًـا على المثل، بدلًا من تلك الطقوس التي تفرض علينا قسـرًا، لأن المثل تتجه بنا إلى أفضل ما يمكن أن نحاول بلوغه من الإيمان[٤]، لأنه يرى أن المثل الأعلى للمجتمع هو أن يتعاون الناس معًا، وبعد قيام التعاون بين أفراد المجتمع فالإنســـان "حر" في مجتمع ديمقراطي يتعاون أفراده على قدم المساواة، وهذا التعاون هو الدين في جوهره.

الإيمان الحق إنما هو إيمان بالكشف عن الحقيقة التي تحل ما يعترض الإنسان من صعاب، والإيمان الحق إيمان بمنهج يســاير التفكير ويســاير الحياة العملية مســايرة تعمل على ازدهار تلك الحياة ورخائها، والله هو العلاقة بين الإنسان ومثله العليا[٥].

ملخص ما سبق من كلام ديوي:

- الدين عند ديوي دين من صنع الإنسان والطبيعة ولا علاقة للغيب والقداسة به فهو وليد الإنسانية التي تعترف بالقيم، وهو مختلف من شعب إلى آخر.
- يرتكز الدين عنده على المثل والعلاقات الاجتماعية بين الناس من تعاون وحل للمشـــاكل الاجتماعية، فالمثل هي من تنمي وتطور وليس المقدس.
- الإيمان الحقيقي هو ما يساعد على حل مشاكل الإنسان والارتقاء في علاقاته.

---

(١) هنري، توماس. أعلام الفلاسفة، ترجمة متري أمين. دار النهضة العربية: القاهرة، (١٩٦٤م)، ص٣٧٨.

(٢) جون ديوي. ولد الفيلسوف الأمريكي جون ديوي (John Dewey) سنة (١٨٥٩) في برلنغتون بولاية فيرمونت الأمريكيّة وبها درس، إذ التحق بجامعة فيرمونت في الخامسة عشرة من عمره وتميّز في مادة الفلسفة، وفي سنة (١٨٧٩) نشر أوّل بحث، ينظر: مؤمنون بلا حدود: https://www.mominoun.com/articles/

(٣) ينظر: هربرت، شنيدر. تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال (٢٠٠) عام، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، (١٩٦٤م)، ٣٥١.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٥٥.

(٥) ينظر: زكي، نجيب محمود. حياة الفكر في العالم الجديد. مؤسسة هنداوي: المملكة المتحدة، ط١، (٢٠٢٠م)، ص١٧٦-١٧٧.

أ- الدين العالمي البراغماتي عند "لومان"(١):

يرى هذا الفيلسوف البراغماتي أنه ليس من المانع أن يكون هناك دين عالمي ذو أثر عام على الناس في حال توفر هذه الشروط الثلاث:

- **أولًا**: أن الدين لكي يكون له تأثير عام فلا يكفي أن يكون هناك مستوى عال من التدين الفردي، وهو ما يترجم أتباعه إلى فعل عام مستلهم دينيا، كما لا يكفي أن تصوغ القيادات الدينية هذا التدين وتركزه في منظمات وحركات تضفي على الدين الصفة المؤسسية، وهذا شرط أساسي للدين في حد ذاته وليس للدين ذي التأثير العام وحده، والمطلوب للدين المؤثر العام هو أن تكون للقيادات الدينية سيطرة على خدمة لا يمكن الاستغناء عنها في عالم اليوم كتلك التي يقدمها العاملون في مجال الصحة والزعماء السياسيون وخبراء العلوم أو إدارة الأعمال(٢).
- **ثانيًا**: إن عولمة المجتمع تغير الطرق التي يتحقق للدين من خلالها مثل هذا التأثير العام، والمجتمع العالمي ليس به مارقون يؤدون دور الممثلين الاجتماعيين للشر، وبدونهم تزداد صعوبة تمييز قوى الخير مما يؤدى إلى ضعف القواعد الأخلاقية مثلًا وظهور الخلاص الأخروي(٣).
- **ثالثًا**: سيجد الدين صعوبة في كسب التأثير العام على مستوى المجتمع العالمي ككل؛ إلا أن مثل هذا التأثير يسهل تحقيقه إذا ما طبقت القيادات الدينية التقليدية الوسائل اللازمة للتعبئة المجتمعية الفرعية السياسية كرد فعل لعولمة المجتمع (٤).

تلخيص ما سبق من كلام "لومان":

- **الشرط الأول**: أن يكون الدين العام دينًا مؤسسيًا ونفعيًا كباقي المؤسسات والخدمات الإنسانية وإلا لا يجدر به أن يرتقي للعالمية.
- **الشرط الثاني**: لا يجب أن يتصدر الدين العالمي هذا المنطلق الذي يقول بصراع الخير مع الشر في المجتمع وفي النهاية هناك خلاص عالمي وكل ينال جزاءه وعقابه، فهذا ليس من شأنه جمع الناس على دين واحد، بل يفرقهم.
- **الشرط الثالث**: يجب على الدين العالمي ولوج الجانب التأثيري السياسي ولا يقبع في التقليد الديني حتى يحقق العالمية.

نلاحظ بأن الشروط الثلاث تصب في فكرة البراغماتية السالف ذكرها فهو يطلب من الدين الذي يرمي للعالمية الفائدة المرجوة منه وإلا لا.

---

(١) نيكلاس لوهمان. عالم اجتماع ألماني ومتخصص في إدارة النظم الاجتماعية، وهو مؤسس لنظرية النظم الاجتماعية، وتستند هذه النظرية على اتباع نهج متعدد التخصصات الاجتماعية التي تؤدي إلى إنتاج وتحاليل متعددة: اللغوية والفلسفية والأدبية، والتدريس والقانون والاقتصادي والبيولوجيا، ولاهوتية، ينظر: موقع: شغف مكتبة، https://shaqhaf.com/author746.html :

(٢) فيذرستون، مايك. ثقافة العولمة القومية والعولمة والحداثة. ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة: ط١، (٢٠٠٠م)، ص٣٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص٣٦٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٦٤.

مناقشة ونقد البراغماتية الدينية:

- ينظرون إلى القيم الثابتة كالحق والخير كما ينظرون إلى السلعة التي تطرح في الأسواق، مما فتح الباب أمام المنافسة والصراع وتمجيد العنف، فالحق أو الخير معياره المنفعة المادية التي ستعود عليهم من ورائها وليس معياره القيمة في ذاتها، ومعنى ذلك أنهم يساوون بين اللص الذي ينهب الثروات وينجح في جمعها بأية وسيلة، وبين التاجر الذي ينمي ثروته وفق مبادئ الشرف والصدق(١).
- جعلوا الدين مجرد علاقة نفعية بين العبد وربه وبذلك أخضعت البرجماتية أعظم علاقة تربط بين العبد وربه إلى مجرد علاقة نفعية، فأضاعت بذلك الإيمان الذي يهب الإنسان القدرة على مقاومة أعتى الصعاب، أما الإسلام الذي لم يشر إليه المؤلف فيجمع بين العقيدة والعمل، لأن العقل البشرى لا يمكنه الوقوف وحده بغير عون من الوحي، فالخير والنفع هو الذي يحدده الشرع، لأن الإنسان قد يحب شيئًا وليس له فيه مصلحة وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم، وباختصار فالإسلام يرى أن النجاح والتنافس على فعل الخير مطلوب لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" ولكن يجب أن يظل العمل مرتبطًا بأوامر الشرع وآدابه(٢).
- حصر مطالب الإنسان في النواحي المادية، ورفض الجانب الروحي – مثل الماركسية – حيث تقصر وظيفة العقل على التفكير في حل مشكلات الحياة المادية وحدها – صحيح أن التقدم الحضاري المادي هام ومطلوب، ولكنه وحده لا يكفي، فلابد من التقدم أيضًا في جانب الروح، فماذا لو تضخمت يد الإنسان جدًا وأصبحت لها قوة جبارة وبقية الجسم كسيح، هذا الوضع يذهب فائدة التقدم، كما أنه اختلال بالنسبة لمجموع الإنسان وخصائصه حيث ينتج عن هذا القلق والتمزق وضعف الإيمان بالله واليوم الآخر، ولا يبقى في فكر الإنسان إلا هذه الحياة الدنيا، فينتهب لذائذها، ويصبح بلا ضوابط فيهبط إلى مستوى أدنى من الحيوان، لأن الحيوان يملك الضوابط الفطرية التي تقف به عند نقطة الهلاك، وقد وصف الله هذا الصنف من الناس بقوله: ولهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون له(٣).

ثالثًا: التعددية الدينية

تأسيسًا على ما سبق من نتائج البراغماتية الدينية فإن الدين يتعدد من خلال الفائدة والنفعية، فهذه الأخيرة نسبية من إنسان لآخر ومن جماعة لأخرى ومن دين لآخر.

لذلك سيدخل الدين العالمي معتركًا آخر فنراه يتعدد، وعلى هذا سأبدأ بمفهوم التعددية الدينية ومن ثم توضيح منطلقاتها ومناقشتها ونقدها.

١–مفهوم التعددية الدينية:

تعددت التعريفات أذكر منها الآتي:

- ضرورة الاعتراف المعرفي وليس فقط الاجتماعي والأخلاقي بكافة الأديان والمذاهب وإعطاء المعذورية للمؤمنين بها، وبالتالي عدلت من مفهوم النجاة الذي كان يعني في الماضي حصر الخلاص في طائفة دينية واحدة بحيث صار أكثر شمولًا واتساعًا ليشمل أكثرية أبناء الديانات والمذاهب، كما عدلت مفهوم التعايش من مجرد كونه ضرورة مرحلية إلى

(١) لبن، علي. الغزو الفكري في المناهج الدراسية أولًا في العقيدة. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: (د. ط)، (د. ت)، ص٧٩.
(٢) المرجع نفسه، ص٧٩- ٨٠.
(٣) المرجع نفسه، ص٨٠.

حاجة إنسانية ثابتة[1]، نلاحظ في هذا التعريف نوع من الخضوع والتسليم للتعددية الدينية في حين أنه يجب علينا الإيمان بالاختلاف وليس الإيمان بالمختلف، فالدين عند الله الإسلام كما سيأتي معنا في نقد التعددية الدينية.

- تعريف آخر: هي تنوع مؤسس على تميز وخصوصية، ولذلك، فهي لا يمكن أن توجد وتتأتى، بل ولا حتى تتصور إلا في مقابلة وبالمقاربة مع الوحدة والجامع، ولذلك لا يمكن إطلاقها على التشرذم والقطيعة التي لا جامع لأحدها ولا على التمزق الذي انعدمت العلاقة بين وحداته، وأيضًا لا يمكن إطلاق التعددية على الواحدية التي لا أجزاء لها أو المقهورة أجزاؤها على التخلي عن المميزات والخصوصيات على الأقل عندما يكون الحكم على عالم الفعل لا على عالم المكان والقوة، فأفراد العائلة، تعدد في إطار العائلة وفي مقابلتها، والذكر والأنثى تعدد في إطار وحدة النفس الإنسانية، والشعوب والقبائل تعدد في جنس الإنسان، فبدون الوحدة الجامعة لا يتصور تنوع وخصوصية وتميز، ومن ثم تعددية والعكس صحيح[2].

٢-علاقة التعددية الدينية بعالمية الدين:

تتضح هذه العلاقة من خلال فكرتي "جون هيك"[3] و"ولفريد كانتويل سميث"[4] اللذان يتزعمان الفكر التعددي الديني العولمي:

---

(١) حب الله، حيدر. التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي. الغدير: بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ص٥٢.

(٢) عمارة محمد. التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية. نهضة مصر: مصر، (د. ط)، (د. ت)، ص٣.

(٣) جون هيك: ولد اللاهوتي والفيلسوف (مختص في فلسفة الدين) الإنجليزي جون هيك بمدينة يوركشاين البريطانيّة (Yorkshine) في ٢٠ يناير (١٩٢٢)، عمل في خدمة الكنيسة صغيرًا وشابا، ولم يكن ذلك ليروق له إذ لم يحقّق الإشباع الروحي الذي كان ينشده، وكان الفضل لعمّه إدوارد هيرست في تشجيعه على مطالعة كتب نيتشه وبرتراند روسل وألفرد نورث هوايتهد وفرويد وليبنتز وكانط وشوبنهاور، وقد تأثّر بها أيّما تأثّر، واتّجه هيك إلى دراسة المحاماة في جامعة هول (Hull) وتحت تأثير أصدقائه المتديّنين عاش في الثامنة عشرة من عمره قلقًا روحيًّا وحيرة شديدة وتوتّرًا جعله "يعي حضور الحقّ الأعلى (Ultimate Reality) ويتحسّس كائنًا أعظم يضغط عليه ويطلب منه الاعتراف به والاستجابة له، وهو ما انتهى به إلى التماهي مع البروتستانتيّة الأصوليّة التي كانت سائدة بجامعة هول، فقرّر الانخراط في سلك كنيسة بريطانيا المشيخيّة، دخل سنة (١٩٤١) جامعة إيدنبرغ (Edinburgh)، قصد دراسة الفلسفة التي أصبحت بالنسبة إليه أكثر جاذبيّة من المحاماة، ومع اندلاع الحرب العالميّة الثانية، اضطرّ للانقطاع عن الدراسة بالجامعة ودُعي للخدمة العسكريّة الإجباريّة، إلاّ أنّه رفض المشاركة في الحرب لإيمانه بأنّ الحرب تتعارض مع إيمانه المسيحي وتعاليم المسيح، فآثر انسجامًا مع قناعاته السلميّة أن يساهم في تقديم المساعدات الإنسانيّة والطبيّة بحكم التجنيد الإجباري، ومع نهاية الحرب سنة (١٩٤٥) عاد إلى جامعة إيدنبرغ لمواصلة دراسة الفلسفة وأقبل بشغف على كتابات كانط ونظريّته في الدين، وقد تخرّج من هذه الجامعة بمرتبة الشرف الأولى وانتقل إلى جامعة أكسفورد لإعداد رسالة الدكتوراه حول العلاقة بين الإيمان والاعتقاد، وقد تولّى نشرها إثر مراجعتها وتنقيحها تحت عنوان "الإيمان والمعرفة" سنة (١٩٥٧)، ينظر: مؤمنون بلا حدود: https://www.mominoun.com/articles/

(٤) ولفريد كانتويل سميث (١٩١٦-٢٠٠٠): واحد من أبرز المتخصِّصين في حقل الدراسات الدينية، وبالتحديد في فرعَي الأديان المقارنة والدراسات الإسلامية، نال شهادة الدكتوراه من جامعة برنيستون، وكان موضوع أطروحته هو: "مجلة الأزهر: تحليل ونقد"، واشتغل أستاذًا بجامعاتٍ مرموقة عِدَّة أهمها جامعتا هارفارد وماكجيل، نُشرت له كتب عديدة من أهمها: "الإسلام في التاريخ الحديث: التوتر بين الإيمان والتاريخ في العالم الإسلامي" (١٩٥٧)، و"نحو لاهوت عالمي: الإيمان وتاريخ الأديان المقارن" (١٩٨٩)، و"ما هو النص المقدَّس: منظور مقارن "(١٩٩٣)، لكن أهم كتبه على الإطلاق، الذي ارتقى لرتبة الكلاسيكيات، هو كتابه "معنى الدين وغايته: منظور جديد لتقاليد البشر الدينية" (١٩٦٢)، يقع هذا الكتاب في ٣٤٠ صفحة تقريبًا، حوالي (١٥٠) صفحة منها عبارة عن هوامش شارحة (طويلة) في معظمها، ويتوزع على مقدمة وخاتمة وبينهما ستة فصول، تحمل العناوين التالية على الترتيب: "الدين" في الغرب، ثقافات أخرى: "الأديان"، حالة الإسلام الخاصة، هل مفهوم "الدين" مفهوم كافٍ؟، التقليد المتراكم، الإيمان، ينظر موقع: مركز نهوض للدراسات والأبحاثhttps://nohoudh-center.com/translations:

أ- "جون هيك" توزع الحقيقة بين جميع الأديان: الحقيقة الدينية ليســت حكرًا على دين واحد شــامل لكل البشــرية وفي هذا الصــدد يقول "جون هيك": "إن التعددية الدينية هي وجهة النظر القائلة بأن الأديان العالمية الكبرى إنما هي بمثابة تصورات وأفهام متنوعة "عن" واستجابات مختلفة "لــ"، الحقيقة النهائية المطلقة أو الذات العليا من خلال ثقافات الناس المختلفة، وأن تحول الجود الإنســاني من محورية الذات إلى محورية الحقيقة يحدث في كل الأديان بنسـبة متسـاوية"(١)، وبعبارة أخرى أن الأديان كلها إنما هي المظاهر الشـكلية للحقيقة الواحدة، فكلها سواسية لا فضل لأحدها على الآخر.

يقول أنيس طه في كتابه "التعددية الدينية رؤية إســلامية": "ومما يلاحظ من كلام جون هيك هنا أنه قد انتهج في تعريف الدين منهج من ينظر إلى الدين من حيث جوهره الأسـاسـي فقط ويحصـره في دائرة شـخصـية ضيقة، أي علاقة الإنسان بالشيء المقدس أو القوة المتعالية، بعيدة كل البعد عن دوره ووظيفته العامة الاجتماعية التي لا يخفى على كل من له أدنى شعور بالواقع المشـاهد، إذن، فقد تم بذلك اختزال لمفهوم الدين، وهذا المفهوم الاختزالي للدين هو الذي يمثل أم المشـكلات العقائدية والاجتماعية الحديثة المعقدة التي لا يمكن حلها وإجابتها إجابة حاسمة إلا بإعادة الدين ذاته إلى وضعه الصحيح ومفهومه الكامل غير الاختزالي كما سنرى فيما بعد"(٢).

---

(1) pluralism is the view that the great world faiths embody different perceptions and conceptions of، and correspondingly different responses to، the Real or the Ultimate from within the major variant cultural ways of being human; and that within each of them the transformation of human existence from self-centeredness to Reality centeredness is manifestly taking place...and taking place، so far as human observation can tell، to much the same extent. [Hick، John، Problems of Religious Pluralism (Houndmills، Basingstoke: The Macmillan Press، 1985). P: 0.36 - 0.1

ونجد تعريفًا مثل هذا في كتابته الأخرى:

"...the term refers to a particular theory of the relation between these traditions، with their different and competing claims. This is the theory that the great world religions constitute variant conceptions and perceptions of، and responses to، the one ultimate، mysterious divine reality".

التعددية الدينية هي نظرية خاصــة عن علاقة الأديان كتقاليد ثقافية واختلافها في ادعاءاتها المختلفة للحقيقة، وهي النظرية التي تقول بأن الأديان العالمية الكبرى إنما هي تنوع نظرات الإنســان إلى الحقيقة الإلهية الخفية العليا الواحدة، وتصــوراته عن هذه الحقيقة، واســتجاباته لها The Encyclopedia of [Religion (New York: Macmillan Publishing Company, Mircea (ed), in Eliade, 'Religious Pluralism, John, Hick, 331, 12, 1987) يقول أنيس طه. ولم أر حتى الآن من قام بتعريف هذا المصـطلح بهذه الدقة وهذا الوضـوح غيره، فضـلًا عن تحليله وتفسـيره وفلسـفته وبناء على هذا التعريف فقد جعل هيك مصــطلح التعددية الدينية نوعًا ثالثًا من أنواع مواقف الإنســان الدينية: الأول exclusivism (النخبوية الضيقة، الانغلاقية)، والثاني inclusivism (العالمية المنفتحة) والثالث pluralism (التعددية)

وللتوسع في فلسفة التعددية الدينية راجع:

John Hick, 'A Philosophy of Religious Pluralism in his Problems of Religious Pluralism, 28-45.

(٢) ينظر: طه أنيس مالك. اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها .الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، (١٤٢١هـ)، ص٩-١٠.

ب- **"ولفريد كانتويل سميث" النظارات الدينية:** ومفاد الفكرة أن الأديان كلها كما وصفها سميث "نظارات" فهي تنظر للحقيقة الدينية بنظرات مختلفة لكنها تتجمع كلها حول حقيقة واحدة، أي أن الحقيقة تجزأت على الأديان، وبالتالي يجب على هذه الأخيرة أن تتصاحب فيما بينها وتتعاون وتتحد(١).

ربما أدى مفهوم التعددية الدينية دورًا أساسيًا في العولمة، وهو يقضي بتعايش الأديان وتجاورها؛ بل يرى أن الدين وفهمه ليس حكرًا على رجال الدين ودعاته، فهو يسمح للجميع باللقاء والحوار باعتبارهم متحدثين عن الأديان(٢).

٣- نقد التعددية الدينية في نظر الإسلام:

- التعددية الدينية في الفكر الإسلامي تعنى الاختلاف والتنوع، وليس الإيمان بوجود الاختلاف والتنوع يعني الرضا به، وإنما الاعتراف بوجوده وإمكانية العيش مع المخالف.
- الاختلاف موجود في بنية هذا الكون وموجود في خلق الإنسان، وشكله ونوعه، ولونه، ولسانه، وفكره، وميوله، واهتماماته وأهدافه، وكذلك في كل ما يدور حول الإنسان من نواميس الكون، مما يجعل الاختلاف والتعدد أمرًا مسلمًا به نظريًا واقعيًا، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ [الرُّوم: ٢٢].
- يعترض بعض الباحثين(٣) على هذه التعددية، ويعدوها تجاوزًا على الدين، فهم يروا أن الإسلام مثلًا، سيصمد أمام ما ستفعله العولمة في هذا المجال، أما الأديان الأخرى، فستتسرب إليها رياح العولمة بسهولة، وبعض الأديان مثل: البوذية والمسيحية، لديها مشكلة في علمنة الدين، وقد تتضامن معهما الهندوسية إلى حد ما، وكذلك الأديان الصينية واليابانية، وقد لا تجد الروحانيات الجديدة، والتيارات الدينية الحديثة المتعددة الشائعة في الغرب حرجًا ما في هذا الأمر، لكن الإسلام لا يتصوّر أن يرضى بهذا التطور، الذي يعتبر تدميرًا للدين، وتخريبًا لرسالته، وإلغاء لحقيقته(٤).

---

(١) ينظر في هذه الفكرة بالتفصيل. طه أنيس مالك. المرجع نفسه، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص٥٨.

(٣) وهناك من العلمانيين من يستسهل من وجهة نظر الباحث عملية دخول العولمة، كفريد إسحاق، ونصر حامد أبو زيد، أو فضل الرحمن، أو محمد أركون مثلًا، لا يرى جمهور المسلمين فيهم، وفي إنتاجهم، انسجامًا مع ما يعتقدونه واقعيًا، أو تاريخيًا، إنما يرون فيهم مظاهر للتأثير الحداثي، وما بعد الحداثي، وللاستشراق الذي مات، وفي هذه الحالة، لا يتوقع أن تفيد الدراسات الخاصة بالإسلام من هذا الحضور شيئًا له تأثير في المجتمع الديني، وقل الكلام نفسه بشأن أي دين آخر، وإن حضور هذا النوع من المفكرين، الذين يحرص غير المسلمين على اعتبارهم ممثلين للإسلام، لن يسهم إلا في (التمييع)، وزيادة الفوضى التفسيرية، والتأويلية، وتقوية مواقف أصحاب نظريات المؤامرة، فهذه الخطورة الكامنة في هذا النوع من الحضور لا يجوز الإغضاء عنها، بل ينبغي السعي في محاولة تصحيحها، ما دمنا نعيش في عصر غياب المرجعيات واضمحلال السلطة التقليدية، وسلطة المؤسسات في المجتمعات الدينية المختلفة، ينظر: صاحب محمد محمد ميرا. المرجع السابق، ص١٠٧.

(٤) المرجع السابق، ص١٠١.

والإسلام ذكر كل أنواع التباين والتعددية، فأقر الإسلام بوجود تعدد في المعبودات بين البشر، ولكنه دعا إلى الحق والصواب وأيده بالبرهان، ونقد الباطل وهدمه بالأدلة والبراهين، فالقرآن الكريم يثبت أن من الناس من عبد الإله الحق، ومنهم من عبد الشمس قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [النَّمل: ٢٤].

- ومنهم من عبد هواه قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثِيَة: ٢٣].
- ومنهم من عبد الحجر قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نُوح: ٢٣].
- لكن مع هذا الاعتراف بهؤلاء يرسم القرآن دينًا واحدًا هو الذي ينبغي الاعتقاد به والرجوع إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عِمرَان: ١٩].
- وفي الوقت ذاته جعل حَمْلَ الناس على الحق كرها ليس من الإسلام قال تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]، ولا يقبل من صاحبه إن آمن مُكْرَها، لأن محل الإيمان هو القلب، والقلب لا سلطان لأحد عليه إلا صاحبه، ولذلك يجب أن نفرق بين ذكر الإسلام لتعدد الأديان – كواقع مرفوض؛ لأن وجود الشيء لا يعني الرضا به وبين رضاه بها بعماية وعدم تفريق بين الحق والباطل، فقد وصى الإسلام البشرية بالدخول في الدين الحق بدون إجبار وعدم اتباع السبل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنۡعَام: ١٥٣].

الخاتمة:

- أول ما خرجت به من نتيجة منطقية من هذا البحث هي إمكانية الدين العالمي في ظل تعدد الأديان، وهذا يكذب الطرح العولمي الذي يدعي وجود سوق الأديان والنظارة الدينية وتعدد الحقيقة وانقسامها بين الأديان، وينفي وجود دين عالمي مهيمن وسائد.
- النتيجة المنطقية بعد النتيجة الأولى هي أنه مادامت توجد إمكانية الدين العالمي، فذا يعني وجود دين عالمي واحد فقط كما طرحت سابقًا، وبالتالي يضعنا هذا الطرح أمام وضع شروط للدين العالمي أو هذا الأخير هو من يفرض نفسه بشروطه أمام تعدد الأديان.

- الدين في نظرة العولمة سلعة تتغير بحسب الطلب.

- كل الأديان تشترك في الحقيقة في نظر العولمة فلا داعي أن يدعي دين عالميته على الأديان الأخرى.

المصادر والمراجع:

ابن منظور. *لسان العرب*.

أبو العلا، محمد حسين. *ديكتاتورية العولمة*. مكتبة مدلولي: القاهرة، مصر، (د. ط)، (٢٠٠٤).

بلعباس يمينة، سمية محمدي. *العولمة وأثرها على الهوية الثقافية –عبد الوهاب المسيري أنموذجا*. رسالة ماجستير، (٢٠١٩م).

التهانوي، محمد علي. *كشاف اصطلاحات الفنون*. ج٢، باب الدال فصل النون، مكتبة لبنان ناشرون: لبنان، ط١، (١٩٩٦م).

الجابري، محمد عابد. *العرب والعولمة*. مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، (١٩٩٨م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي. *التعريفات*. تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث: (د. ط)، (د. ت).

حاتم، محمد عبد القادر. *العولمة ما لها*. وما عليها الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، (٢٠٠٥م).

حب الله، حيدر. *التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي*. الغدير: بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).

حكمي، أحلام أحمد. *البراجماتية دراسة تحليلية نقدية*. مقال منشور في مجلة حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفي، مصر، ع٣٦، (١٤٣٨هـ/٢٠١٧م).

الخشاب، أحمد. *الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية، وتطبيقاته العملية*. ط١، مكتبة القاهرة الحديثة: (١٩٧٠م).

الدجاني، أحمد صديقي. *العرب والعولمة*. مركز الدراسات الوحدة العربية: بيروت، لبنان، ط٣، (٢٠٠٠).

دحماني، الطاهر. *خطر العولمة الدينية على المجتمعات الإسلامية: عولمة الإسلام أم أسلمة العولمة؟*. مقال منشور، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ٨(٠١)، (٢٠٢٠م).

رواء، أوليفييه. *الجهل المقدس، زمن دين بلا ثقافة*. ترجمة: صالح الأشمر، دار الساقي: بيروت، لبنان، ط١، (٢٠١٢م).

روبرتسون، رونالد. *العولمة النظرية الاجتماعية والثقافية الكونية*. ترجمة: أحمد محمود، نور أمين، المجلس الأعلى للثقافة: (١٩٩٨م).

الريس، إبراهيم بن حماد، وآخرون، (أعضاء هيئة تدريس بجامعة الملك سعود). *المدخل إلى الثقافة الإسلامية*. مدار الوطن للنشر: ط٦، مقرر جامعي المملكة العربية السعودية، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

كي، نجيب محمود. *حياة الفكر في العالم الجديد*. مؤسسة هنداوي: المملكة المتحدة، ط١، (٢٠٢٠م).

زيدان، محمود. *البراجماتيزم عند وليم جيمس*. رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة القاهرة، (١٩٥٦م).

صاحب محمد محمد ميرا. تأثير العولمة على دراسة الدين – تحليل وتقييم. *مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية*، مجلة علمية محكمة، ع٢٥، (٢٠٠٧).

عجيبة، أحمد علي. *دراسات في الأديان الوثنية القديمة*. دار الآفاق العربية: ط١، القاهرة، (٢٠٠٤م).

عمارة محمد. *التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية*. نهضة مصر: مصر، (د. ط)، (د. ت).

عمارة محمد. *بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية*. مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع: ط١، القاهرة، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

الفتلاوي، سهيل حسن. *العولمة وأثرها على الوطن العربي*. دار الثقافة: عمان الأردن، (د. ط)، (٢٠٠٩).

فيذرستون، مايك. *ثقافة العولمة القومية والعولمة والحداثة*. ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة: ط١، (٢٠٠٠م).

الفيروزبادي. *القاموس المحيط*. ط٢، ص٢٦٦-٢٢٧، الزبيدي. تاج العروس. مج٩، ٢٠٧-٢٠٨.

القس. صموئيل حبيب وآخرون. دائرة المعارف الكتابية: ص٤٧٢.

لبن، علي. *الغزو الفكري في المناهج الدراسية أولًا في العقيدة*. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: (د. ط)، (د. ت).

ليكلرك، جيرار. *العولمة الثقافية الحضارات على المحك*. ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة: بيروت، ط١، (٢٠٠٤م).

الماجدي، خزعل. *علم الأديان تاريخه، مكوناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله*. مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع: المملكة المغربية، الرباط، ط١، (٢٠١٦م).

ــــــــ. *مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط مادة، "علم"*. مكتبة الشروق الدولية: جمهورية مصر العربية، ط٤، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

محمد رشيد رضا. تفسير المنار. ج٢.

محمد عبد الله دراز. *الدين*. (د. ط)، دار القلم: الكويت، (١٩٩٠م).

مصطفى عبد الرزاق. *الدين والوحي والإسلام*. مؤسسة هنداوي: المملكة المتحدة، ط١، (٢٠١٤م).

ناي، مالوري. *الدين الأسس ترجمة هند عبد الستار مراجعة جبور سمعان*. الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت، (٢٠٠٣م).

هربرت، شنيدر. *تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال (٢٠٠) عام*. ترجمة محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، (١٩٦٤م).

هنري، توماس. *أعلام الفلاسفة*. ترجمة متري أمين، دار النهضة العربية: القاهرة، (١٩٦٤م).

طه أنيس مالك. *اتجاهات التعددية الدينية والموقف الإسلامي منها*. الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، (١٤٢١هـ).

John Hick, 'A Philosophy of Religious Pluralism in his Problems of Religious Pluralism.